بشر وأرض وزمن ...

قصة جديدة بقلم محمد روزنامجي

أقبل الليل . والشمس تحتضر عند الأفق . ونثار الظلام يلون السماء . والافق يخبو احمراره . واشباح الشمس تضمحل رويداً رويداً . ومصابيح الشارع ترسل نورهـا . وصوت الأذان يعلو من المسجد المجاور .

وهو ... لا يزال يطل بعينين ذاهلتين من النافذة . والناس تروح وتجيء . زرافات زرافات . والخفاش يخرج من الزوايا فيرف في الجو . وصوت الراديو يصخب من المقهى القريبة .

ويطلق آهة كأنها الهمس . وأمشاج من الافكار تدور في رأسه . وهو لا يزال يمد بصره من النافذة . الحارة الضيقة . وبرك المياه الآسنة الزرقاء . واكوام النفايات . والبيوت المتداعية ، بعضها يحنو على بعض . والاطفال والوجوه الشاحبة والعيون التي يهوّم عليها الذباب . والاسمال المهلهلة . إنه يحس أنه يعيش في قمامة . قمامة كريهة . الذباب يطن ويتراكم . والرائحة النتنة تملأ عليه حياته . ويحس بها تنبعث من كل شيء .. حتى من نفسه .. من أعماقه!

ويحس بالتفاهة . بالغثيان . بالسأم . بالضياع . والناس لا تزال تروح وتجيء . زرافات زرافات . والليل يجثم على المدينة . والهم يجثم على نفسه . والسيارات تزحم الشارع . وزعيق الأطفال لا يزال يرتفع من الحارة .

إنه يحس أن الحياة ، حياته على الأقل ، أمست لا تطاق ، لا يطيقها هو نفسه . صور قديمة . قديمة الى حد الغثيان . حركات مكرورة كالآلة . وأصوات رتيبة لا تتغير . وحضيض من العيش لا يرتفع ، أو يكون له مستوى ، أيّ مستوى ، مستوى للحياة ، للعيش كما يقول الاقتصاديون . مستوى ؟ هه ... أي مستوى ؟!

نحن موجودون . موجودون فحسب . مجرد وجود . بشر وأرض وكفى ! أي شيء ؟ وجود . مجرد وجود . بشر وأرض وزمن ! أما المستوى ، مستوى الحياة ، مستوى العيش ، أما القيمة ، قيمة الانسان ، لا شيء ... لا شيء ! مجرد وجود!

وعاد يتأمل الشارع . السيارات والناس والمقهى التي تزحم الرصيف . والراديو والاغاني الصاخبة لا معنى لها . مجرد تفاهة ... ونهاره المعاد ، وحركاته الآلية ، والحر الذي لا يطاق ... حارة .. حارة .. أكاد اذوب ... لا أطيق الحر ، لهيب الحر . والشارع يلتهب . والناس في زحمتها تتصبب عرقاً . كان الماء يخرج من المسامات مدراراً . والعيون تحتقن . والرؤوس في دوار كدوار الخمر . والشمس ترسل شواظاً من نارها لا يطاق .

– حارة .. حارة .. الدنيا مثل الجحيم !

والناس في سيرها تتزاحم . ورائحة الاجساد في حموضة . وإسفلت الشارع يفور . والسيارات تروح وتجيء . والابواق تنعق فتزيد في الضجيج وتزيد في الدوار . دوار الرؤوس . وهو يريد ان يفكر . يفكر ؟ أي تفكير . مجرد صيد فكرة .. ولكن ليس في رأسه اية فكرة .

– أريد ان افكر ، أريد ! وفي رأسه دوار . وفي رأسه ضجيج . والشمس ترسل شواظا من لهيبها . والشارع يفور . والناس تتزاحم في سيرها . والاجساد في حموضة . والعرق يسح من المسامات . وفي رأسه دوار . وفي رأسه خواء . يريد ان يقتنص فكرة . مجرد فكرة ... ولكن ... الدنيا حارة . الدنيا جحيم لا يطاق . ورائحة الحموضة تتصاعد الى انفه . والناس والزحمة والسيارات والابواق وإسفلت الشارع يفور .

– أوف ! كأننا نمر في تجربة . تجربة العدم ! عدم ؟ آه ! مجرد وجود جامد . عاقر . بليد . مجرد تنفس الهواء وأكل الطعام وشرب الماء و .. حسب ؟ كتلة من اللحم ! تجربة العدم ؟ عدم ؟ نعم عدم ! وأي عدم أمرّ من حياة جرداء ، جليدية ، بلا عواطف ، بلا مشاعر ، بلا افكار ! حياة لا يلونها إلا السواد . والليل بلا نجوم ، والضجر ينثر تهاويله ، وظلاله الكئيبة تعتم النفس . ويحسّه ، هذا الضجر الناحب كمارد حلم اسود رهيب . آه ! كل شيء يعتم في وجهه .. حتى السماء عمياء لا يرصع جبينها أي نور حتى ... والطفل يبكي ويلح في البكاء ، وصرير المهد يملأ الغرفة ، ويدق الجدار دقاً . والأرق يأخذ بتلابيبه .

– نم .. نم .. يا صغير نام .. نم .. نام !

نام ؟ ينام ؟ يا ليته ينام . الوسادة الناعمة ، والفراش اللين ، والعين التي ينطبق جفناها ، والذهن الخالي ، والقلب الذي

ينفض الهموم .. ينام ؟ وصدى اغنية يرف في ذهنه ...

— النوم .. ياما هويت النوم !

ويتقلب على فراشه ، وعقب السيجارة يلسع لحمه ، ونسمة باردة تمس جبينه ، والطفل يعود الى بكائه ، وصرير المهد يزيده ارقا ، وفي رأسه دوامة من صور .. صور .. صور ..

عيون محمرة اضنى الذبول اجفانها . واجساد ممصوصة عجفاء ، وكل شيء يتثاءب في خمول .. حتى الجدران ، مللاً ، سأما ، ضجراً ! إنه يحس كأنه يعيش في جو مريض . كل ما فيه مريض . مريض .. حتى الاحلام ! أي مرض ؟ أمر مبهم . أمر غريب . لوحة كئيبة . مشوشة الالوان بشكل فظيع . تبعث على الغثيان والقيء . القيء؟ الزقاق المظلم الرطب . والعفونة تتصاعد من كل شيء .. بالوعة كبيرة ومجموعة من الديدان تتلوى على غير هدى .. وتزدرد الطين !

وعاد صرير المهد يدق في رأسه ..

— نم .. نم .. يا وليدي نام ..

والطفل يزداد زعيقا وصراخا . وصرير المهد يدق في رأسه . ها هو يعيش . مجرد ان يعيش . يبعثر هذا التل ، التل الزمني ، ماذا ؟ مجرد بعثرة . بعثرة بلا معنى . بلا لون . وزعيق الطفل ينبش في اذنيه بالحاح . ان بكاءه يثير اعصابه . واشعل سيجارة وعاد يمد عينيه في الظلام .

انه يحس بنفسه في هوة . هوة غريبة . هوة من بلادة . عواطفه في جمود . مشاعره في برود . وفي رأسه لا تنبض فكرة . ماذا ؟ انه اصبح في قبضة الفراغ . اوه ! مروع ! انه صورة للعدم !

لماذا ؟ لماذا ؟ لماذا وقفت حياته ؟ لماذا جمدت ؟ لماذا رثت صورها ، معانيها ، قيمها ، مثلها ؟

— حياته ؟ حياته هو نفسه ؟ جمدت صورها ؟ مجرد وقفة تتكرر كل يوم ! نعم ! نعم ! مجرد جمود ! وقفة على حافة العدم . صور معادة ، رثة ، خلقة . هذه الوجوه يقابلها كل يوم . نفس الحركات . نفس الاصوات نفس الالفاظ . نفس الأحاديث .. نفس .. نفس ... أف ! والزمن يمضي . يوماً بعد يوم . أوه ! هذا لا يطاق . إن كل شيء حوله يوحي له بالعدم . الشارع الذي لا تتغير ضجته . والمقهى الذي لا تتغير وجوهه . والأيام التي لا تختلف في ما بينها . والوجود الذي لا يرقى الى مستوى محترم . مستوى حياتي .

إنه يحس كأنه يعيد حياته كل يوم ، مجرى حياته ، صور حياته ، جو حياته ، معاني حياته . إنه أصبح مجرد كتلة من اللحم تتنفس وتأكل وتشرب . مجرد حيوان . مجرد دودة عمياء تزدرد الطين . دودة ؟ وأحس برغبة في القيء تدور في نفسه . آه ! كل شيء حوله يوحي له بالتفاهة . بالعدم . أمر فظيع أن نعيش نقضم يوماً بعد يوم . كفئران صغيرة عمياء . وننبش في هذا التل الزمني ، لا يتغير شيء ، أي شيء ! مجرد عبث ممجوج لا معنى له .

وهو لا يزال ينظر من النافذة . فيبدو له الشارع . الناس السيارات . المقهى . كل شيء بلا معنى . مجرد وجود . مجرد حياة . تنفس وأكل وشرب . وصور معادة ، رثة ، خلقة . مجرد بشر وأرض وزمن !

وعاد الطفل يزعق من جديد ، وصرير المهد يملأ الغرفة ، ويدق في رأسه دقا فظيعا . ونسمة باردة تلمس جبينه . والسماء دكناء لا ترصعها النجوم . والافكار تدور في رأسه كرة اخرى ، وتعود تدبّ دبيباً مزعجاً .

وانتفض واعصابه تتشنج ، واغلق الغرفة خلفه ، ومضى ينهب درجات السلم بحدة ، وانطلق الى الزقاق الاسود . والرائحة الكريهة تنبعث من البرك الزرقاء الآسنة . والمصباح يلفظ نوره بوهن .

بغداد **محمد روزنامجي**

وكلاء « الآداب »

سوريا ولبنان : شركة فرج الله للمطبوعات

العراق : وكالة فرج الله للمطبوعات : محمود حلمي .

البحرين : المكتبة الوطنية لصاحبها ابراهيم محمد عبيد

الكويت : مكتبة الطلبة لصاحبها عبدالرحمن الخرجي

تونس : دار الكتب العربية الشرقية لصاحبها محمد خوجه

طنجه : مكتبة الصاحب .

ليبيا : المكتبة الوطنية — بنغازي

مصر : دار الكشاف ٣٧ شارع عبدالعزيز بالقاهرة

باريس : المكتبة الشرقية

15 Rue Monsieur - le - Prince